ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:08، العدد:03 (2024)، ص53-70

دلائل الاستقرار البشري خلال العصر الحجري القديم المتأخر في الشمال الشرقي لمنطقة العلمة (ولاية سطيف)

Evidence of human settlement during the Epipalaeolithic in the north east of El Eulma (Wilaya of Setif)

✍صليحة دربال*
مخبر تاريخ تراث ومجتمع
جامعة قسنطينة 02 (الجزائر)
saliha.derbal@univ-constantine2.dz

✍نادية باهرة
مخبر تاريخ تراث ومجتمع
جامعة قسنطينة 02 (الجزائر)
nadia.bahra@univ-constantine2.dz

✍سهيلة مرزوق
المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ (الجزائر)
merzoug@cnrpah.org

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/09/20
تاريخ القبول:
2024/11/21

الكلمات المفتاحية:
- ✓ مسح أثري
- ✓ رماديات
- ✓ قفصية
- ✓ الشرق الجزائري

الملخص:

تعتبر المنطقة الشمالية الشرقية للعلمة من بين المناطق التي شهدت على الاستيطان البشري بشمال إفريقيا خلال العصر الحجري القديم المتأخر؛ والتي اتسمت بتطور ملحوظ في صناعة الأدوات الحجرية. ونظرا للأهمية الأثرية التي تكتسيها المنطقة في هذه الفترة ارتأينا تسليط الضوء على دلائل تواجد الإنسان بها، متبعين في ذلك منهجا وصفيا تحليليا يقوم على وصف كل موقع وتحديد خصائصه ومن ثم تحليل هذه المعطيات ومقارنتها بالمواقع الأخرى. إذ مكن المسح الأثري من اكتشاف 5 رماديات جديدة مع التحديد الدقيق لرماديات معروفة سابقا. تشترك المواقع المدروسة في تواجدها بأراضي منبسطة قرب مجاري مائية مصدرها واد جرمان، كما تحتوي على مادة أثرية تسمح بنسبها للقفصي العلوي أو النيوليتي ذو التقليد القفصي، وذلك بعد المقارنة مع خصائص مواقع المنطقة.

Article info

Received:
20/09/2024
Accepted:
21/11/2024

Key words:
- ✓ Archaeological survey
- ✓ Escargotieres
- ✓ Capsian
- ✓ Eastern Algeria

Abstract:

The north-eastern region of El Eulma is one of the North African areas that witnessed human settlement during the Epipalaeolithic, a period characterised by a marked improvement in the stone tool production. Given its archaeological importance, a descriptive-analytical approach was adopted to shed light on the evidence of human occupation in the region, describing each site and identifying its characteristics, then analysing the data by comparing it with other sites. The archaeological survey led to the discovery of 5 new escargotieres and the relocation of previously known ones. It also shows a preferential localisation of the sites on the plains and near the waterways of Oued Djermane. Furthermore, the archaeological material and the comparison with other sites in the region argue in favour of an attribution to the Upper Capsian or the Neolithic of Capsian tradition.

*المؤلف المرسل

مقدمة

تعتبر منطقة العلمة الواقعة في الشمال الشرقي الجزائري، شمال مدينة سطيف، من بين المناطق التي عرفت استيطانا بشريا منذ ما يزيد عن مليوني سنة، استمر لغاية الهولوسان بما في ذلك فترة العصر الحجري القديم المتأخر التي تعرف المواقع المميزة لها بالرماديات. إن منطقة العلمة رغم اشتراكها مع المناطق المجاورة لها في الخصائص الجغرافية والعوامل المساعدة على الاستيطان البشري لم تحظ بالقدر الكافي من الدراسة باستثناء تلك التي خصت مواقع العصر الحجري القديم بعين الحنش وعين بوشريط. هذا ما دفعنا إلى اختيارها كمجال دراسة والاهتمام بمرحلة العصر الحجري القديم المتأخر التي تقتصر المقالات فيها تقريبا على ما نشر خلال الفترة الاستعمارية والتي كانت جد شحيحة بالمعلومات الجغرافية والأثرية.

يهتم هذا البحث بتسليط الضوء على المنطقة الشمالية الشرقية للعلمة خلال الباليوليتي المتأخر من خلال إبراز القيمة الأثرية للمواقع المعروفة بالرماديات من جهة، وتحديد المقومات التي دفعت بالإنسان للاستقرار في هذا الحيز الجغرافي من جهة أخرى. ذلك قصد إضافة معطيات جديدة للرصيد المعرفي حول ما قبل التاريخ بالمنطقة.

وتتركز الإشكاليات المطروحة على تباين التوزع الجغرافي للرماديات بالمجال الجغرافي المختار وطبيعة وسمات كل موقع وعلاقته بالمحيط، وهو طرح يقودنا إلى التطرق للمسائل المتعلقة بالانتماء الثقافي ودوافع اختيار المكان، بالإضافة إلى تقصي طبيعة الأدلة الأثرية الموجودة في الرماديات بما في ذلك طبيعة المواد الأولية المستخدمة من طرف الإنسان لإنتاج أدواته.

وقد تم اعتماد منهج وصفي تحليلي بدء بإجراء مسح أثري لجرد الرماديات المنتشرة بالمنطقة، وتحديد موقعها الجغرافي الدقيق وصفاته من حيث الشكل والمحتوى الأثري. كما تم تحليل المعطيات الميدانية بناء على الرصيد النظري الموجود قصد الخروج بجملة من النتائج تتضمن تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين مواقع المنطقة خلال فترة العصر الحجري القديم المتأخر من الناحية الجغرافية والمورفولوجية والأثرية.

1. الإطار الجغرافي للدراسة

تتواجد المنطقة المدروسة ببلدية العلمة ولاية سطيف وتحديدا في الشمال الشرقي على بعد حوالي 7 كيلومترات من مركز المدينة، حيث تقع بين دائرتي عرض"26'11°36 و "43'09°36 شمالا وبين خطي طول "6'47°5 و "48'45°5 شرقا.

من الناحية التضاريسية تنتمي المنطقة إلى نطاق الهضاب العليا، حيث تتسم بالأراضي المنبسطة التي يقدر أعلى ارتفاع لها عن سطح البحر بـ 1065 متر ثم يقل كلما اتجهنا جنوبا، تتخلل قرى المنطقة شبكة هيدروغرافية متشعبة تتمحور حول واد جرمان الذي تنبثق عنه عدة شعاب منها شعبة الحاسي، شعبة الأعصاب وشعبة البيضا (شكل 1).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الشكل 1: خريطة مستحدثة ببرنامج ArcGis 10.8 توضح منطقة الدراسة

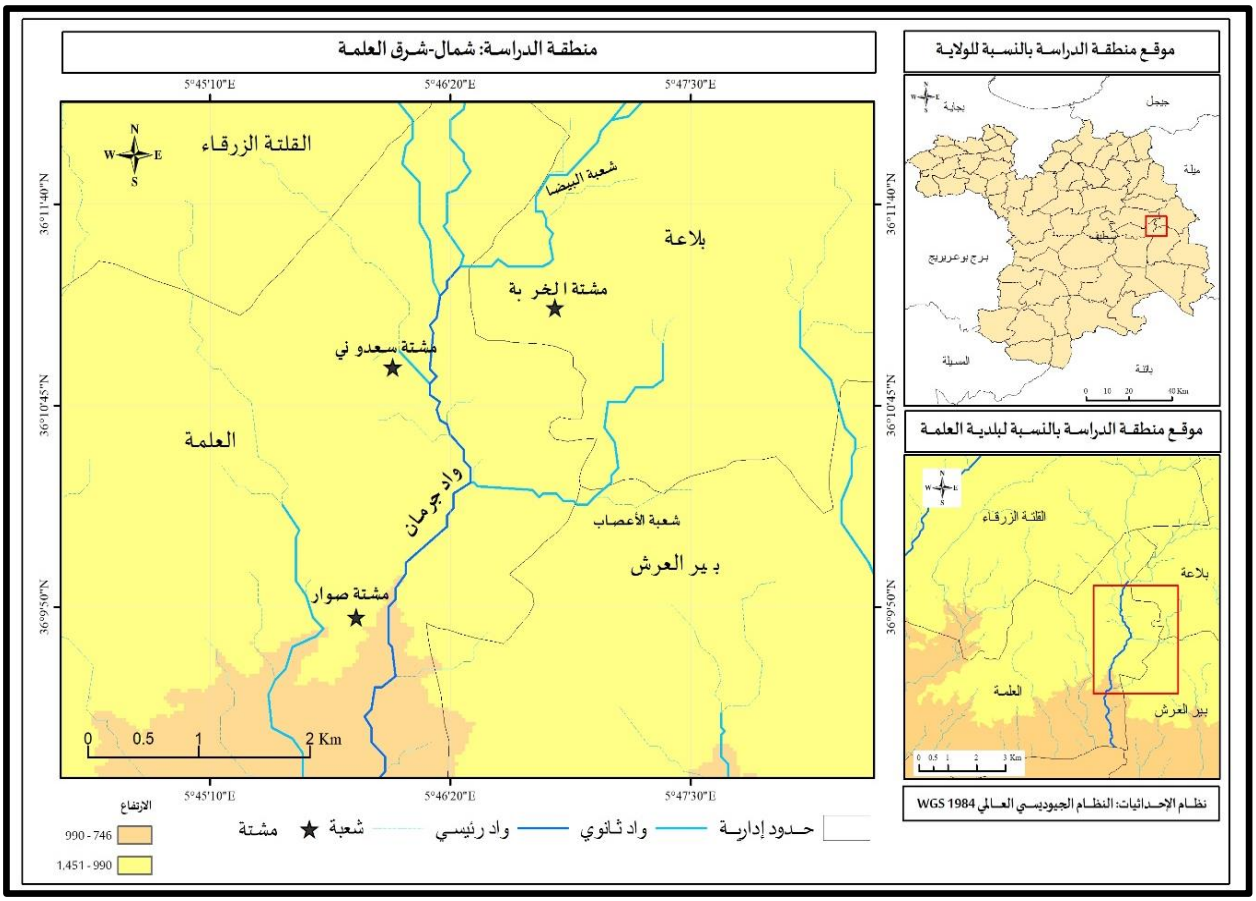

المصدر: عن الباحثة

أما جيولوجيا فتتشكل المنطقة من تكوينات طية جميلة التي ترجع للزمن الجيولوجي الثاني والثالث ممثلة بتكوينات المايستريشي العلوي إلى الباليوسين، وهي عبارة عن أحجار مارل سوداء غير متمايزة تحتوي أحيانا كرات صفراء. إضافة إلى تكوينات الأبريزي–اللوتيسي الأسفل وهي عبارة عن حجر كلسي بيتوميني أبيض، ذو مكسر أسود وصوان أسود في دوار أولاد بعوشات وبلاد موسى. تعلو هذه التكوينات مستويات من المارل والطمي ترجع للرباعي، مع تكوينات الميوبليوسين القاري المتمثل في سحنات مختلفة من الطمي والرصيص، الرصاف، الطين الجبسي وركامات الحصى والطين تتركز بمشتة السمارة. إلى جانب رواسب من الطمي الحالي والحديث تتشكل أساسا من رمل وغرين وحصى؛ لا يتجاوز امتدادها عموما بضع مئات من الأمتار ذات لون رمادي بشكل عام والتي تندمج أسفل الوديان (Vila et al., 1975).

2. تاريخ الأبحاث

عرفت منطقة العلمة خلال القرن العشرين اكتشاف عدة رماديات من طرف الباحثين الفرنسيين، كان أولها اكتشاف رمادية عين بوشريط سنة 1931 بالقرب من القلتة الزرقاء من قبل الباحث Arambourg (Arambourg et al., 1934, p. 340)، ثم في عام 1936 أشار الباحث Champagne لرمادية عين الترك شمال المنطقة بالقرب من جميلة؛ وذلك ضمن مقال يضم نتائج المسوحات الأثرية التي أجراها بعض الباحثين في مناطق متفرقة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بسطيف (Champagne , 1941, p. 18). بعدها اكتشف الباحث Camps سنة 1954 بالقرب من المركب الألدواني عين الحنش رمادية أطلق عليها اسم عين بوشريط 2 (Camps, 1955, p. 90).

أسفرت الحملة الاستطلاعية التي قام بها الباحث Verguet في المنطقة الشمالية سنة 1955 من اكتشاف عدة رماديات على غرار رمادية مجاز 1، مجاز 2، كدية البابوش ودوار مريوط، مع الإشارة إلى رمادية شمال الطريق الوطني غرب منطقة العلمة دون ذكر اسمها، كما قام ذات الباحث بمعاينة رماديتي عين بوشريط وعين الحنش التي هي نفسها عين بوشريط 2 (Verguet, 1963, pp. 311-312).

مكنت الحفرية الإنقاذية التي أجراها الباحث Verguet بموقع مجاز 1 سنة 1961 من اكتشاف هيكل عظمي بشري نسب للثقافة القفصية (Camps-Fabrer et al., 1961-1962, pp. 60-61)، كما اكتشف سنة 1965 هيكل عظمي آخر أرجع من طرف الباحثين لفترة العصر الحجري الحديث (Roubet, 1979, p. 471). علاوة على ذلك أجرى تنقيبات برمادية مجاز 2 خلال سنوات 1963 و1964 لتستأنف الحفريات سنتي 1966 و1967 أين اكتشف هيكل عظمي بشري في حالة حفظ جيدة، وبعدها استكمل الحفر سنة 1968 من طرف Camps–Fabrer (Camps-Fabrer et al., 1975, p. 128) التي قدمت تأريخات للموقع تم نقدها لاحقا (Sheppard, 1987; Rahmani, 2004)، كما وضعت الباحثة سنة 1972 خريطة للرماديات بمنطقة سطيف (Camps-Fabrer et al., 1975, p. 128). وبالمثل جرى التنقيب في رمادية عين بوشريط سنة 1966 من طرف فريق من CRAPE مكون من Camps، Roubet و Aumassip (Camps, 1966, p. 59).

حاليا تعتبر رماديتي مجاز 1 ومجاز 2 الموقعين الوحيدين بالمنطقة المنتميان لفترة العصر الحجري القديم المتأخر اللذان يتم التنقيب فيهما، وذلك من طرف فريق من المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ تحت إشراف الباحثة سهيلة مرزوق، حيث باشر فريق البحث الأعمال الميدانية سنة 2013 في موقع مجاز 1 لتستمر بعدها بشكل دوري في كلا الموقعين سنويا (Merzoug et al., 2017; Merzoug et al., 2020).

3. منهجية العمل

اعتمد عملنا على المسح الأثري الجزئي حيث قمنا باختيار رقعة جغرافية صغيرة للبحث عن الرماديات التي تم الإشارة إليها سابقا من طرف الباحثين دون دراسة مفصلة، وذلك بهدف تقييم درجة حفظ هذه المواقع، إلى جانب البحث عن مواقع جديدة بالمنطقة ومقارنة محتوياتها وخصائصها مع الرماديات المكتشفة سابقا، ولعل السبب من اختيار هاته المنطقة يكمن في الخلفية البحثية التي تؤكد قدم الاستيطان البشري بها؛ ومع ذلك لم تسفر الأبحاث حول الباليوليتي المتأخر سوى عن اكتشاف بضعة رماديات منها ما لم يدرس وتم الاكتفاء بتحديد غير دقيق لموقعها دون التطرق للمحتوى الأثري.

اعتمدنا في المرحلة الأولى على برنامج قوقل آرث لتسهيل عملية مسح منطقة الدراسة، إذ أبانت أبحاث سابقة (عبد الوهاب، ساحد، 2021) أن الرماديات تظهر في شكل بقعة بيضاوية أو دائرية ذات لون رمادي يمكن

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تتبعها عبر خاصية الصور التاريخية historical imagery، وانطلاقا من ذلك استعنا بالبرنامج المذكور لتعيين إحداثيات هاته البقع بغية تطبيق اختبار التحقق validation إذ قمنا في مرحلة ثانية بالتنقل إلى الميدان لمعاينة المواقع مع المسح الميداني للمنطقة؛ كما تمت الاستعانة بالروايات الشفوية للسكان.

4. نتائج المسح الأثري

تم تشخيص الرماديات في الميدان بناء على معايير تعريف الرماديات التي حددها الباحثون، حيث تكون على شكل كومة من الأتربة المتفاوتة الغنية بالرماد تحتوي على قواقع معديات الأرجل البرية (حلزون) مجزأة أو كاملة، صخور محروقة، بقايا حيوانية وبشرية، مادة أثرية مكونة من صناعة حجرية وعظمية. تكون هذه العناصر حاضرة بنسب متفاوتة مما يعطي الرماديات مظهرا عاما متشابها مع بعض الاختلافات (Camps G. , 1997, pp. 2683-2691).

1.4. كدية البابوش

تقع رمادية كدية البابوش في الشمال الشرقي لبلدية العلمة، وتحديدا في المنطقة الواقعة غرب مشتة الخربة على بعد 564 متر، يتم الوصول إليها عبر مسلك ترابي يمر بها من الجهة الغربية متواجد شمال المسار الرابط بين مشتة سعدون والخربة، كما لا يفصلها عن الضفة الشرقية لواد جرمان سوى 113 متر.

قام الباحث Verguet سنة 1955 بحملة استطلاعية للمنطقة اكتشف خلالها عند سفح التل في الجانب الغربي أدوات حجرية من الصوان، شظايا، قواقع حلزونية من نوع *Helix* متناثرة على عدة مئات من الأمتار المربعة. أشار الباحث إلى تواجد هذه المحطة على بعد 300 متر شرق الطريق الريفي رقم 3؛ مبينا أن الصوان المستخدم في صناعة الأدوات الحجرية له لونان أسود وفي أغلب الأحيان بني محمر ذو نوعية جيدة (Verguet, 1963, p. 311).

الأدوات المكتشفة بالموقع من طرف Verguet تحمل سمات القفصي العلوي وهي لم تكن نتاج أسبار بل التقاط على السطح، النوى قليلة العدد وتتمثل في نوعين : هرمية وموشورية، أما الأدوات فتمثلت في 21 محت (محتات مزدوجة ومتعددة، محتات بسيطة وجانبية على شظايا)، بعض الشظايا ذات حزات، محكات نصف دائرية على شظية وعلى نصلة، نصال ذات حزات إحداها من الصوان الأسود طولها 9 سم، أدوات صغيرة تشتمل على نصيلات ذات ظهر، نصلة ثلاثية المقطع، 2 محت قزمي، مثقب، جزء من مثلث متباين الأضلاع ذو ضلع منحني (Verguet, 1963, pp. 311-312).

حاليا تتواجد الرمادية بأرض منبسطة في حالة حفظ سيئة جدا، حيث تم تخريب منظرها برمي النفايات في الموقع مثل الأكياس البلاستيكية وما شابه ذلك. كما اختفت معالمها نتيجة لحرث الأرض واستغلالها في الزراعة، ومع ذلك لا زال يمكن ملاحظة بعض القطع الصوانية وكذا فتات قواقع الحلزون (شكل 2).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الشكل 2: منظر عام لرمادية كدية البابوش

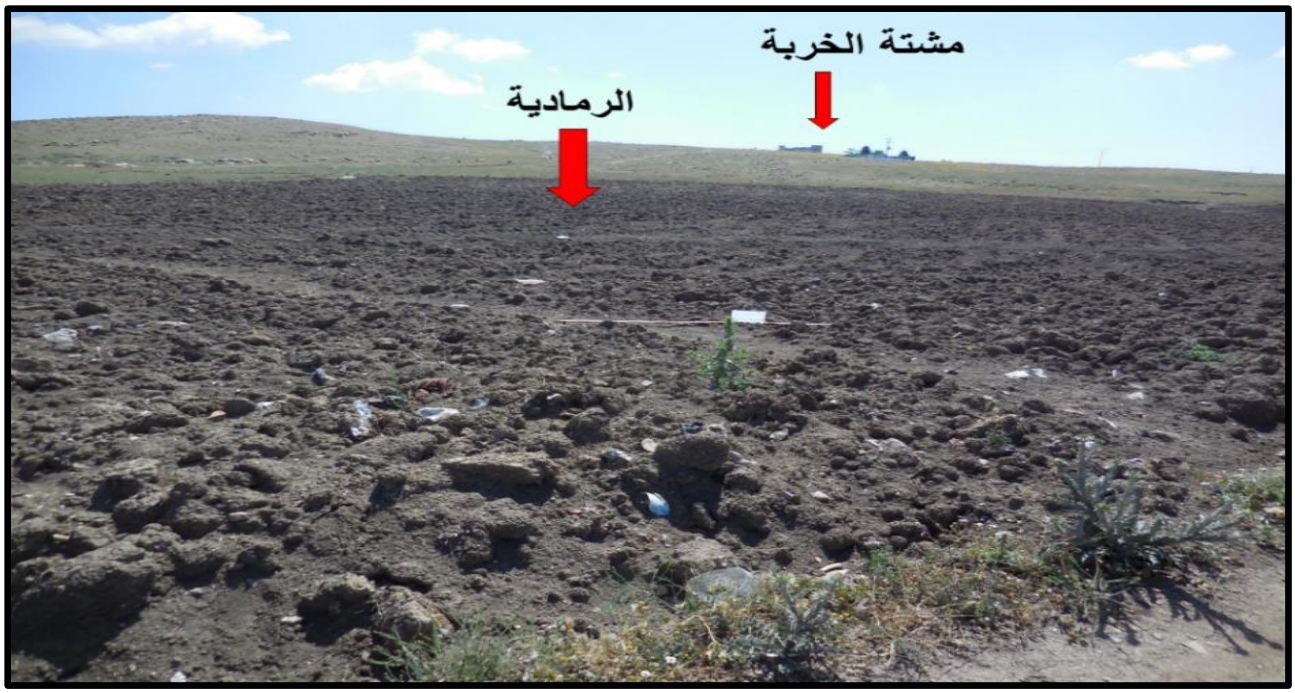

المصدر: عن الباحثة

2.4. مشتة الخربة 1

تقع الرمادية بمشتة الخربة جنوب المسار الريفي الرابط بين هذه المشتة ومشتة سعدون خلف إحدى المنازل، حيث يمكن رؤية قطع الصوان على جانب المسار بوضوح.

اكتشفت رمادية مشتة الخربة 1 من خلال المسح الأثري سنة 2024، وهي متواجدة فوق ربوة ترابية على ارتفاع 1031 متر عن سطح البحر، الجهة الجنوبية منها تتخللها حجارة كبيرة على السطح والتي يبدو أنها مغروسة على عمق معين تحت الأرض؛ بعضها تشكل خط واحد مستقيم نوعا ما، تقدر مقاسات هذه الحجارة بين نصف متر و 4 أمتار تقريبا، بينما تغيب في الجهة الغربية والشمالية أين تتناثر حجارة ذات مقاسات صغيرة لا تتجاوز 30 سم، أما الجهة الشرقية فهي الأخرى بها حجارة ضخمة مغروسة في الأرض؛ يصل طولها حتى 3 أمتار متوضعة في شكل خطين متوازيين إلى حد ما قرب بعضهما البعض، والخط الحجري الثالث يبعد ناحية الشمال بحوالي 17 متر (شكل 3).

تبلغ مساحة الموقع 120 متر شرق غرب على 47 متر شمال جنوب، والتي تنتشر على سطحها العديد من قطع الصوان المقصب الأسود، الرمادي الداكن والفاتح والبني الفاتح، تشمل هذه القطع شظايا، قزميات، نصال ونصيلات وكتل صوانية، لا تزال بعض القطع الحجرية تحتفظ بجزء من القشرة بلونين بني فاتح وأصفر مائل للبرتقالي، يتراوح سمكها بين 1–5 ملم. سطح الرمادية غني بفتات قواقع الحلزون المكسورة في حين لم يتم ملاحظة أي بقايا عظمية أو حجارة محروقة.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الشكل 3: منظر عام لرمادية الخربة1

المصدر: عن الباحثة

3.4. مشتة الخربة 2

يتواجد موقع مشتة الخربة 2 شمال الرمادية السابقة على الجانب الآخر من الطريق، كما يقع على بعد 430 متر فقط شرق رمادية كدية البابوش.

الموقع عبارة عن بقايا رمادية اختفت تضاريسها بسبب التدخل البشري في المنطقة، حيث تتواجد في أرض منبسطة ملك لعائلة بابور على مسافة بضع أمتار من المنازل، هاته الأخيرة التي صرح لنا صاحبها أنها بالفعل بنيت فوق رواسب أثرية ترجع لفترة ما قبل التاريخ، مشيرا أنه أثناء عمليات الحفر بغية تشييد البيوت استخرجت كميات كبيرة من أتربة غنية جدا بالرماد، وقد أكد مالك الأرض أنه عثر فعلا على بقايا عظمية حيوانية وإنسانية ضمن الأتربة المستخرجة؛ والتي أعيد دفنها في مكان آخر على بعد حوالي 300 متر في الشمال الشرقي للموقع. كما أن المنطقة قد استوطنت في الفترة الرومانية بدليل وجود شقف الفخار الروماني وبعض النقيشات.

لكن بالرغم من التخريب الذي تعرضت له الرمادية إلا أن السطح لا يزال يحتفظ في نقاط معينة باللون الرمادي للرواسب الممزوجة مع بقايا قواقع الحلزون المكسورة، إلى جانب وجود بعض الكتل الصوانية والشظايا المتناثرة بشكل عشوائي. الصوان المستعمل هو نفسه الموجود في رمادية مشتة الخربة1 والمتمثل في الصوان الأسود والرمادي (شكل 4).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الشكل 4:

المصدر: عن الباحثة

4.4. مشتة الخربة 3

تتواجد هذه الرمادية في الجهة الشرقية لرمادية مشتة الخربة 1 ومشتة الخربة 2، حيث تبعد عن الأولى بـ 362 متر وعن الثانية بـ 432 متر، تتمركز في هضبة مغطاة بحجارة صغيرة لا يزيد قدها عن 20 سم. تتميز بشكل إهليجي وحجم كبير إذ يقدر القطر شمال جنوب بـ 129,11 متر والقطر شرق غرب بحوالي 112 متر، يغطي سطحها العديد من الصناعات الحجرية المتنوعة على غرار النصال، النصيلات، الشظايا، نوى مسطحة، نوى كيفية أو غير محددة، أدوات قزمية إضافة إلى كتل من الصوان الخام، ما يشير إلى احتمالية جلب الصانع للمادة الأولية للموقع والقيام بصنع الأدوات الحجرية به. الصوان المستعمل هنا هو نفس الصوان في الرماديتين السابقتين المتمثل في الأسود والرمادي، كما أن بعض القطع بها جزء كبير من القشرة السطحية (شكل 5).

الشكل 5: منظر عام لرمادية الخربة 3

المصدر: عن الباحثة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

5.4. واد جرمان 1

بالإضافة إلى رمادية كدية البابوش المكتشفة سابقا؛ فقد مكنت عملية المسح الأثري سنة 2024 بمنطقة جرمان من اكتشاف رماديتين جديدتين بالقرب من الضفة الشرقية لواد جرمان، حيث تتواجدان على مقربة من بعضهما ولا يفصل بينهما سوى الطريق الريفي، في حين تقع رمادية كدية البابوش ناحية الشمال على بعد أقل من 2 كلم.

تقع رمادية واد جرمان 1 غرب بلدية بير العرش على الحدود مع بلدية العلمة على بعد كيلومتر واحد شمال الطريق الوطني رقم 5، وتحديدا على الحافة الشرقية للطريق الريفي المؤدي إلى مشتة أولاد صوار خلف مجموعة من الأشجار، كما تبعد بـ 255 متر فقط عن الضفة الشرقية لواد جرمان.

تتواجد هذه الرمادية في أرض منبسطة وهي ذات حجم متوسط وشكل شبه دائري حيث يبلغ القطر شمال جنوب 49.10 متر والقطر شرق غرب 40 متر، تتسم بحالة حفظ متوسطة إذ يمكن تمييز لونها الرمادي بوضوح. تنتشر على سطحها بقايا قواقع الحلزون المكسورة مع وجود بعض القواقع الكاملة تحمل ثقب في الأعلى أو الجانب، إضافة إلى صناعات حجرية منها نصلة ذات حزات، نواة كيفية، شظايا، أجزاء صغيرة وبعض الكتل الحجرية الخام، جل هذه القطع هي من الصوان ذو ألوان متعددة على غرار الصوان الأسود والرمادي والبني الفاتح، غير أن المميز هو وجود قطعة صوانية لونها رمادي فاتح مع نطاقات بيضاء وهذا النوع لم يتم ملاحظته في المواقع السابقة (شكل 6).

الشكل 6: منظر عام لرمادية واد جرمان 1

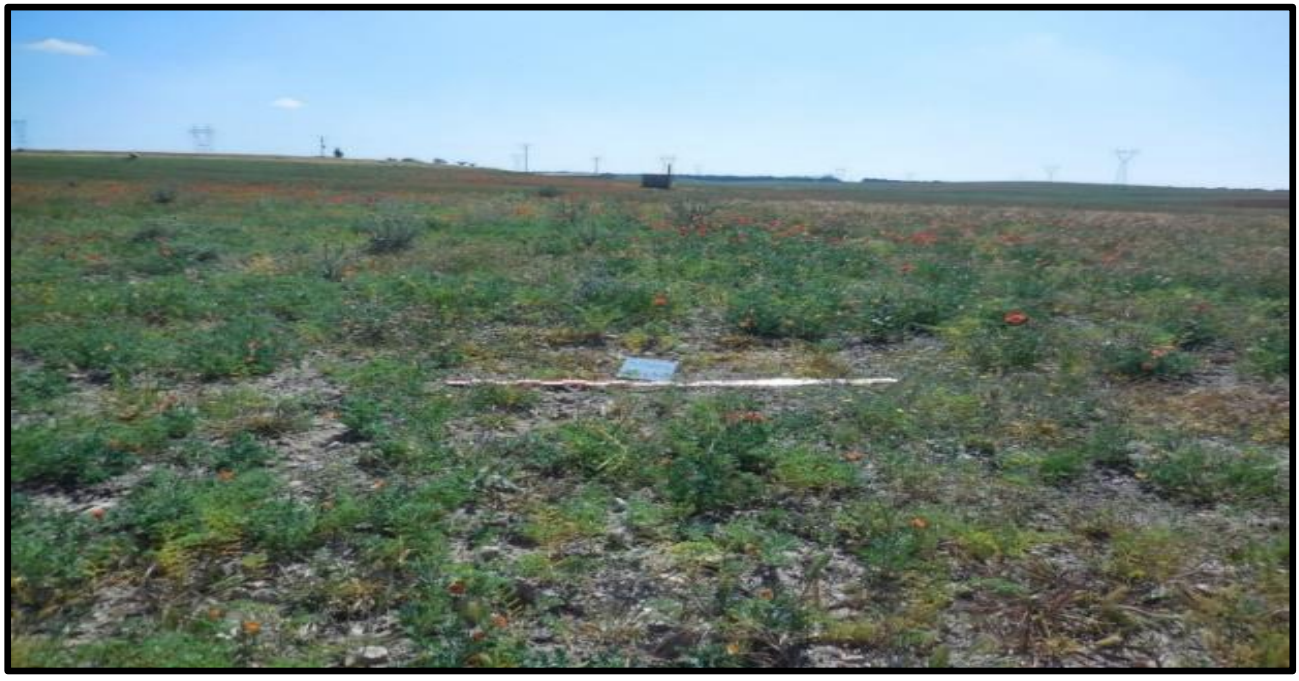

المصدر: عن الباحثة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

6.4. واد جرمان 2

تقع هذه الرمادية شمال الرمادية الأولى التي تبعد عنها بمسافة 107 متر فقط على الحافة الغربية لنفس الطريق الريفي، ويفصلها عن شرق واد جرمان 120 متر تقريبا. تتسم رمادية واد جرمان 2 بشكل بيضاوي وحجم كبير مقارنة برمادية واد جرمان 1، حيث يصل القطر شمال جنوب إلى 116 متر أما القطر شرق غرب فلا يتجاوز 60 متر (شكل 7).

الشكل 7: منظر عام لرمادية واد جرمان 2

المصدر: عن الباحثة

تعرضت الرمادية للتخريب البشري؛ حيث تم حفر حفرة في الجهة الشمالية بعمق ثلاثة أمتار تقريبا لها شكل مستطيل أبعاده 6.38 متر على 11.43 متر، يظهر في المقطع العمودي لهذه الحفرة فتات من قواقع الحلزون مع قطع من الصوان بلون رمادي (شكل 8).

الشكل 8: المقطع العمودي للحفرة في الجهة الشمالية لرمادية واد جرمان 2

المصدر: عن الباحثة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

5. المناقشة

مكن المسح الأثري بالمنطقة الشمالية الشرقية للعلمة من تحديد موقع رمادية كدية البابوش التي أشار إليها الباحث Verguet سنة 1955، إضافة إلى اكتشاف خمس رماديات جديدة هي: مشتة الخربة 1، مشتة الخربة 2، مشتة الخربة 3، واد جرمان 1 وواد جرمان 2. سمحت الملاحظات الميدانية لهذه المواقع من التعرف على مجموعة من الخصائص التي تتسم بها الرماديات؛ سواء من حيث الطبيعة الطبوغرافية للموقع وحالة حفظه أو من ناحية البقايا الأثرية والمادة الأولية المستعملة.

1.5. طبيعة الموقع

تتواجد المواقع المدروسة في الهواء الطلق إما في أراضي منسبطة على غرار رمادية كدية البابوش، واد جرمان1 وواد جرمان2، أو فوق ربوة ترابية على غرار رماديات مشتة الخربة. يتضح من خلال المعطيات الميدانية أن جل الرماديات بالمنطقة تتواجد على ارتفاع حوالي 1000 متر تقريبا. ومن ناحية أخرى فإن هذه المواقع تقع بالقرب من الضفة الشرقية لواد جرمان على مسافات لا تزيد عن كيلومتر واحد، والملاحظ أن الرماديات الأكثر بعدا عن المجرى المائي هي تلك الواقعة فوق ربوة ترابية والمشار إليها سابقا (شكل 9).

الشكل 9: التوزيع الجغرافي للرماديات بمنطقة الدراسة – خريطة مستحدثة ببرنامج ArcGis 10.8

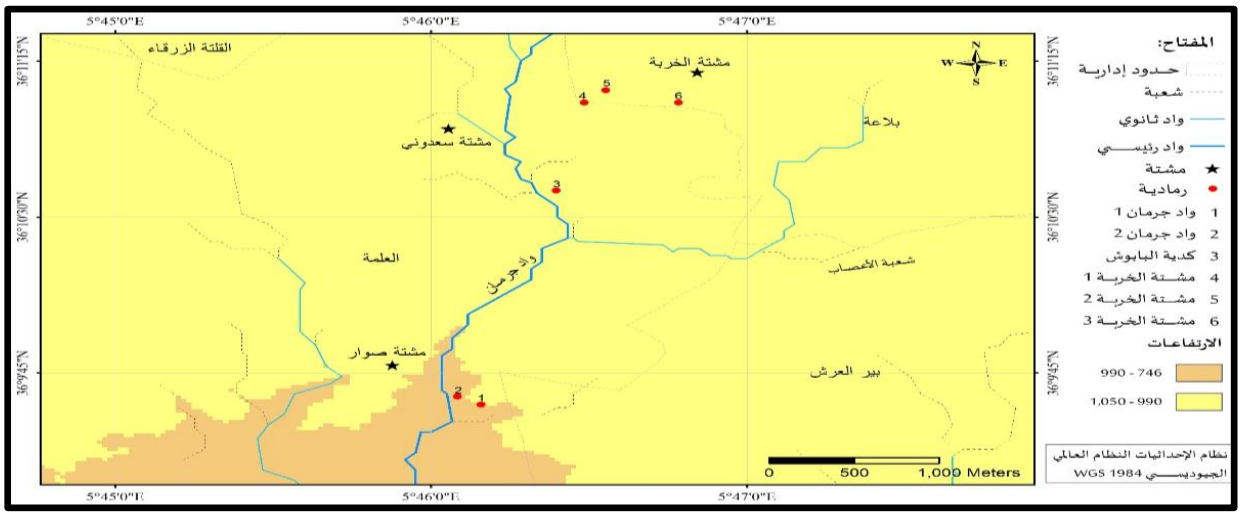

المصدر: عن الباحثة

إن التوزع الجغرافي للرماديات بالمنطقة المدروسة قرب الأودية يتوافق مع ما توصل إليه باحثون سابقون، حيث أشار كل من بالو وكامبس ولوبال إلى تموقع الرماديات عموما قرب مصادر المياه أو الفجاج أو أسفل سفوح الجبال (Balout, 1955, pp. 397-398; Camps G. , 1974, pp. 164-165; Camps G. , 1997; Lubell et al., 1976, p. 910; Grébénart, 1976, p. 39). ويمكن ذكر أمثلة عن ذلك بمنطقة أولاد جلال (واد منكوب، رباح، المرموطة) إذ لا تبعد سوى بضع أمتار عن واد التل وواد جدي (Breuil & Clergeau, 1931, p. 64; Grébénart, 1976, pp. 213-265)، وكذلك رماديات منطقتي تبسة وأم البواقي (عين غيلان، عين بكارية، واد مدفون وعين بريش) (Vaufrey, 1955; Jackes & Lubell, 2013).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مع ذلك يشير ذات الباحثين إلى عدم ثبوت هذه القاعدة في كل الحالات حيث نجد في منطقة النمامشة رماديات في المرتفعات البعيدة عن مصدر الماء، وفي مناطق سطيف وجبال الحضنة وعين البيضاء والشريعة رماديات منتشرة في السهول (Camps, 1997, p. 2687)، كما يذكر لوبال احتمال تأثر توزع الرماديات بعوامل الحفظ وبالتالي عدم موافقة التوزع الحالي جزئيا لتوزعها الأصلي (Lubell et al., 1976, p. 910).

2.5. حالة الحفظ

تتسم الرماديات المدروسة بحالة حفظ متفاوتة، حيث لوحظ أن رمادية كدية البابوش في حالة حفظ سيئة نتيجة الحرث المستمر للأرض باعتبار الموقع أرض زراعية، ونفس الأمر ينطبق على رمادية واد جرمان 2 حيث تم حفر الرواسب الأثرية في نقاط معينة لسبب مجهول، وبالمثل فإن رمادية مشتة الخربة1 قد تعرضت للتخريب التام ولم يتبقى منها سوى بعض السمات الدالة عليها؛ وذلك نتيجة بناء المنازل واستغلال الموقع في الزراعة وتربية المواشي، وبالمقابل حافظت رمادية مشتة الخربة 2 على تضاريسها بالرغم من تعرضها للجرف بسبب مياه الأمطار والسيول خاصة وأنها متواجدة في مكان منحدر نوعا ما، كما لا تزال رمادية واد جرمان 1 في حالة حفظ متوسطة والتي يبدو أنها هي الأخرى قد أثرت عليها العوامل الطبيعية خاصة المياه. وعلى العكس من ذلك تماما تتسم رمادية مشتة الخربة 3 بحالة حفظ جيدة مقارنة ببقية المواقع ولعل السبب يعود لوقوعها في مكان مرتفع قليلا عن باقي المواقع ولم تطلها أي أعمال تخريب بشرية.

3.5. المادة الأولية

تتمثل المادة الأولية المستخدمة في صناعة الأدوات الحجرية في الصوان فقط إذ لم يتم ملاحظة أي مادة أخرى، استندنا في تصنيف الصوان على لون القطع الحجرية المتناثرة على السطح. يعتبر الصوان الرمادي الأكثر تمثيلا في المنطقة إذ عثر عليه في كل المواقع بمختلف درجاته (الشكل 10)، يليه الصوان الأسود حيث وجد هو الآخر في أغلب الرماديات المدروسة (الشكل 11) باستثناء رمادية واد جرمان 2، وكان Verguet قد أشار إليه برمادية عين بوشريط ناحية الشرق (Verguet, 1955, p. 66).

الشكل 10: عينة من الصوان الرمادي بموقع مشتة الخربة 2

المصدر: عن الباحثة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بالمقابل يقتصر تواجد الصوان البني الفاتح على موقعين فقط وهما رمادية مشتة الخربة 1 (شكل 12) ورمادية واد جرمان 1، هذه الأخيرة عثر بها أيضا على صوان رمادي فاتح مع نطاقات بيضاء (الشكل 13)، وفي رمادية مشتة الخربة 2 لوحظ صوان رمادي منقط بالأبيض؛ كما تحتفظ بعض قطع الصوان الرمادي بقشرة ذات لون أصفر مائل للبرتقالي. إضافة إلى ذلك أشار الباحث Verguet سنة 1955 إلى وجود صوان بني محمر ذو نوعية جيدة برمادية كدية البابوش، ربما مصدره تكوينات الحجر الكلسي المارلي للأيوسيني الأسفل والذي يتطور بشكل كبير في نطاق النصف الشرقي من الخريطة الجيولوجية للعلمة ورقة رقم 94، تم العثور على هذا النوع أيضا في رمادية بلاعة المجاورة على بعد 9 كلم شمال بير العرش(Verguet, 1963 :311) .

الشكل 11: عينة من الصوان الأسود بموقع مشتة الخربة 3

المصدر: عن الباحثة

الشكل 12: عينة من الصوان البني الفاتح بموقع مشتة الخربة 1

المصدر: عن الباحثة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

4.5. المحتويات الأثرية

تشكل القطع الحجرية النسبة الأكبر للبقايا الأثرية المنتشرة على سطح الرماديات، تتمثل هذه القطع بشكل أساسي في النصال والنصيلات وقد وجدت في جل المواقع المدروسة؛ إلى جانب الشظايا لكن بنسب قليلة؛ ومن الجدير بالذكر هو العثور على النصيلات ذات حزات في رمادية واد جرمان1. كما لوحظت بعض الأدوات على غرار القزميات الهندسية ممثلة في المثلثات وشبه المنحرف، وهي متنتشرة بكثرة بموقع مشتة الخربة 3 وموقعي مشتة الخربة 1 ومشتة الخربة 2 بشكل أقل، هذا الأخير الذي عثر به أيضا على محتات قزمية. في حين أنه بموقعي واد جرمان 2 وكدية البابوش لم نتمكن من ملاحظة أي قطع مميزة باستثناء بعض الشظايا ذات مقاسات صغيرة وبقايا القواقع المكسورة، وذلك راجع لحالة الحفظ السيئة جدا التي تشهدها الرماديتين نتيجة تقليب التربة. وقد كان الباحث Verguet ذكر بأنه جمع من موقع كدية البابوش نوعين من النوى هرمية وموشورية، إلى جانب عدد من المحتات ذات أنماط مختلفة منها محت قزمي، محكات نصف دائرية، مثقب، نصلة ثلاثية المقطع، نصال ذات حزات، نصيلات ذات الظهر وجزء من مثلث متباين الأضلاع ذو جانب منحني (Verguet, 1963, pp. 311-312).

الشكل 13: عينة من الصوان الرمادي الفاتح مع نطاقات بيضاء بموقع واد جرمان1

المصدر: عن الباحثة

تشمل أيضا البقايا الأثرية المكتشفة عدد معتبر من الكتل الصوانية الخام، ضف إلى ذلك العديد من الأجزاء الصغيرة والتي يبدو أنها ناتجة عن عملية التقصيب إذ لا تزال تحتفظ بجزء من القشرة، مما يشير إلى فرضية أن الإنسان قد قام بجلب المادة الأولية وتقصيبها في الموقع لصنع أدواته، وقد يدعم هذا العثور على نوى ذات أنماط متنوعة منها النوى الكيفية برمادية مشتة الخربة 1، مشتة الخربة 2 ومشتة الخربة 3، هذه الأخيرة التي عثر بها أيضا على نوى نصالية مسطحة، كما لوحظت نوى قرصية بكل من موقعي مشتة الخربة 1 وواد جرمان 1.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إلى جانب الصناعات الحجرية تمثل قواقع الحلزون نسبة معتبرة من محتويات الرماديات المدروسة؛ وذلك باعتبارها السمة المميزة لهذا النوع من المواقع، ونجدها على شكلين إما مكسورة كليا أو كاملة هاته الأخيرة التي تمكننا من التعرف على نوع منها والمتمثل في Helix melanostoma (شكل 14). تجدر الإشارة إلى أننا لم نتمكن من ملاحظة بقايا أثرية أخرى على غرار العظام وقشور بيض النعام، والتي قد تكون مطمورة داخل الرواسب الأثرية.

الشكل 14: عينة من قوقعة Helix melanostoma برمادية واد جرمان 1

المصدر: عن الباحثة

5.5. الانتماء الثقافي

تتسم المواقع المدروسة بسمات مماثلة لوحظت في مواقع أخرى بالمنطقة حظيت بدراسات معمقة من طرف الباحثين، حيث أسفرت الدراسات الستراتيغرافية والثقافية برماديات مجاز 1 ومجاز 2 وعين بوشريط عن تشخيص طبقات تنتمي للقفصي العلوي وأخرى ترجع للنيوليتي ذو التقليد القفصي، هاته المواقع تتسم بكثرة الرماد والقواقع الحلزونية مثلها مثل الرماديات المدروسة بمنطقة شمال شرق العلمة. إضافة إلى ذلك تشكل الصناعة الحجرية عنصرا مهمها في تحديد الانتماء الثقافي، إذ بموقع عين الترك الواقع على بعد بضع كيلومترات شمالا التقط الباحث Champagne صناعة حجرية تحتوي على نصيلات وأدوات قزمية نسبها إلى القفصي العلوي (Champagne , 1941, p. 18)، وبالمثل تم نسب الأدوات الحجرية برمادية عين بوشريط إلى ذات الوجه الثقافي مع وجود سمات تدل على الاقتراب من العصر الحجري الحديث (Verguet, 1955, p. 66)، نظرا لارتفاع نسبة مؤشر النصيلات والشظايا ذات حزات والمسننة، وذات الخصائص نجدها في المجموعات الصناعية لرماديات ماكدونالد 2، مجاز 1 ومجاز 2؛ واستنادا عليها وعلى المعطيات الكرونولوجية والستراتيغرافية تبين انتمائها إلى القفصي العلوي من الوجه السطايفي، حيث اعتبر موقعا مجاز 1 ومجاز 2 مرجعا له. وتجدر الإشارة هنا إلى

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وجود طبقات تعود لمرحلة النيوليتي اكتشفت أولا في موقع مجاز 1 ثم مجاز 2 (Camps-Fabrer et al., 1975, pp. 131-136; Camps-Fabrer et al., 1961-1962; Roubet, 1979; Merzoug et al., 2020).

من خلال المعطيات الميدانية التي توصلنا إليها بخصوص الرماديات بمنطقة الدراسة سواء من ناحية طبيعة الموقع أو من ناحية المحتوى الأثري؛ يظهر لنا التشابه بينها وبين الرماديات الأخرى بمنطقة سطيف إذ يغلب عليها الطابع النصيلي والقزميات الهندسية، وعليه فإن الانتماء الثقافي من المرجح أن يكون نفسه وهو القفصية العليا من الوجه السطايفي، وعلى الرغم من أننا لم نتمكن من ملاحظة قطع فخار بالرماديات المدروسة ولا دلائل أخرى للنيوليتي إلا أن وجودها وارد، وانتماء هذه المواقع إليها غير مستبعد. على غرار ما كشفت عنه الأبحاث برماديات مجاز 1 ومجاز2.

خاتمة

أسفر المسح الأثري بالجهة الشمالية الشرقية لمنطقة العلمة عن مجموعة من النتائج حول الرماديات والعصر الحجري القديم المتأخر والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

الجرد: اكتشاف خمس رماديات جديدة متوضعة بالقرب من بعضها البعض خاصة رماديات مشتة الخربة، وتحديد موقع رماديات معروفة سابقا مثل كدية البابوش.

التوزع الجغرافي والمقومات: سمحت عملية الجرد بدعم الملاحظات السابقة للباحثين حول استقرار الإنسان في المناطق المفتوحة وذات تضاريس سهلة؛ وفي مواقع قريبة من المجاري المائية لتسهيل الحصول على الماء باعتباره ركيزة أساسية في الحياة اليومية، وهذا بدليل انتشار الرماديات إما بالقرب من الضفة الشرقية لواد جرمان ببضع أمتار فقط أو قرب الشعاب المتفرعة عن الواد. كما بينت الملاحظات حول المواد الأولية اعتماد الإنسان على الصوان المحلي لصنع الأدوات الحجرية مما يشير إلى توفرها في المناطق القريبة من مكان الاستقرار، خاصة وأن الصوان متضمن في التكوينات الجيولوجية للإبريزي– اللوتيسي الأسفل للمنطقة.

المحتوى الأثري والانتماء الثقافي: تبين أن الأدوات الحجرية المتناثرة على سطح الرماديات بالمنطقة المدروسة تحمل سمات الثقافة القفصية، حيث تتشابه هذه الأدوات مع تلك المكتشفة برمادية كدية البابوش والتي نسبت إلى القفصي العلوي، وبما أن الصناعة الحجرية للمنطقة المدروسة تحمل بصفة عامة خصائص شبيهة بالصناعة الحجرية لكل من موقعي مجاز 1 و2، فإنه من غير المستبعد أن يكون الانتماء الثقافي للموقعين والرماديات المدروسة هو نفسه والمتمثل في القفصي العلوي ذو الوجه السطايفي؛ وربما حتى إلى فترة أحدث أي النيوليتي إذا اكتشفت السمات الدالة عليه مستقبلا.

وختاما فإن نتائج هذه الدراسة تفتح مجالا لدراسات مستقبلية أكثر دقة، إذ تبقى التفسيرات المقدمة بشأن الرماديات بالمنطقة وخاصة رماديات مشتة الخربة؛ مجرد فرضيات يتعلق نفيها أو تأكيدها بتوسيع مجال الدراسة وتدقيقه للحصول على معطيات إضافية تسمح بفهم أفضل للسياق الأثري والثقافي لمنطقة الدراسة.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

قائمة المراجع:

1- عبد الوهاب وهيبة، ساحد عزيز طارق، (2021). «**التعمير البشري القفصي بمنطقة ميلة (الشرق الجزائري): أبحاث واكتشافات جديدة**». مجلة العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، العدد: 7، ص.ص192-215.

2- Arambourg, C., Boule, M., Vallois, H., & Verneau , R. (1934). **Les grottes paléolithiques des Beni Segoual (Algérie)** (Vol. 13). Archives de l'Institut de Paléontologie Humaine.

3- Balout, L. (1955). **Préhistoire de l'Afrique du Nord. Essai de chronologie**. Paris: A.M.G.

4- Breuil , & Clergeau. (1931). «Oeuf d'autruche gravé et peint et autres trouvailles paléolithiques du territoire des Ouled - Djellal (Sahara septentrional)» . **l'Anthropologie**, 1, XLI, 53-64.

5- Camps, G. (1955). «Recherches sur les relations du Capsien supérieur et l'Ibéromaurusien dans le Constantine». **Bulletin de la société d'histoire naturelle de l'Afrique du nord**, 46, 89-97.

6- Camps, G. (1966). «La Préhistoire en Algérie et les activités scientifques du C.R.A.P.E. durant l'année 1966». **Libyca**, Tome XIV, 437-468.

7- Camps G., 1974. **Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara. Paris**, Doin.

8- Camps, G. (1997). «Escargotières». **Encyclopédie berbère**, T18, 2683-2691.

9- Camps-Fabrer, H, (1975). **«Le faciès sétifien du capsien supérieur»**. **L'Épipaléolithique méditerranéen**, Juin 1972, **Centre National de la Recherche Scientifique** ‹p. 127-150.

10- Camps-Fabrer, H., Lefebvre, G., & Ramendo, L. (1961-1962). **«Inhumation capsienne dans une escargotière de la région de Saint-Arnaud»**. **Libyca**, IX-X, 59-80.

11- Camps-Fabrer, H., Bouchud, J., Chabeuf, M., Chamla, M.-C., Couvert, M., Dughi, R., & Sirugue, F. (1975). **Un gisement capsien de faciès sétifien, Medjez II, El-Eulma (Algérie)**. Centre National de la Recherche Scientifique, 448.

12- Champagne , R. (1941). «**Les stations préhistoriques de la région de Sétif**». Bulletin société historique et géographique de la région de Sétif, II, 9-24.

13- Grébénart, D. (1976). **Le Capsien des régions de Tébessa et d'Ouled-Djellal (Algérie)**. Contribution à son étude (Université de Provence, Aix-en-Provence ed.). Paris.

14- Jackes, M., & Lubell, D. (2013). «**Capsian mortuary practices at Site 12 (Aïn Berriche),** Aïn Beïda region,eastern Algeria». **Quaternary International**, XXX, 1-17.

15- Lubell, D., Hassan, F., Gautier, A., & Ballais, J.-L. (1976). «**The Capsian escargotières**». **Science**, 910-920.

16- Merzoug, S., Aoudia, L., Aouimeur, S., Belambri, R., Eddargach, W., & Fergui, A. (2017). **«L'escargotière de Medjez I (El Eulma, Algérie): Résultats préliminaires d'une opération archéologique pluridisciplinaire»**. 379-412.

17- Merzoug, S., Aouimeur, S., Djellid, A., Aoudia, L., Morales, J., Mameri, M., Stoetzel, E. (2020). **«Données préliminaires sur la présence d'une occupation néolithique à Medjez II (Sétif, Algérie) ».** Libyca, *T36*, 51-76.

18- Rahmani. (2004). **«Nouvelle interprétation de la chronologie capsienne (Épipaléolithique du Maghreb)».** Bulletin de la Société préhistorique française, 101, 345-360.

19- Roubet, C. (1979). **Économie pastorale pré-agricole en Algérie orientale. Le Néolithique de tradition capsienne, l'exemple de l'Aurès Préface du Doyen Lionel Balout.** Centre National de la Recherche Scientifique, 5-595.

20- Sheppard, , P. (1987). **The Capsian of North Africa: stylistic variation in stone tool assemblages**. In British Archaeological Reports, International Series (p. 353).

21- Vaufrey, R. (1955). **Préhistoire de l'Afrique** (Vol. 1). (L. Masson, Ed.) Paris.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

22- Verguet, M. (1955). «**Notes sur quelques stations préhistoriques et traces d'industries lithiques relevées dans la région de Saint-Arnaud Eulma (département de Constantine) ».** Libyca, III, 57-80.

23- Verguet, M. (1963). «**Le gisement capsien du Koudiat El-Bebbouche, commune de Bazer-Sakra (Sétif)»**. Libyca, XI, 311-312.

24- Vila, J.-M., Sigal, J., Coiffait, P.-E., Lahondere, J.-C., & Quinif, Y. (1975). «**Sur l'allochtonie du Tell sétifien la fenêtre de la Koudiat Touachra et la nappe de Djemila»**. Bull . Soc . géol . France (7), XVII , 1172-1175.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)